كانون الثاني 2017

جسور للدراسات
JUSOOR for STUDIES

التقارب التركي الروسي ... إلى أين ؟

تقدير
موقف

جسور للدراسات
JUSOOR for STUDIES

مؤسسة مستقلة متخصصة في إصدار المعلومات وعمل الدراسات، والأبحاث المتعلقة بالشأن السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي، والقانوني في منطقة الشرق الأوسط، والمتعلقة بالشأن السوري بخاصة، بحيث يمد جسوراً للمسؤولين وصناع القرار في كافة تخصصات الدولة، وقطاعات التنمية، لمساعدتهم في اتخاذ القرارات المتوازنة المتعلقة بقضايا المنطقة، وذلك بتزويدهم بالمعطيات والتقارير العلمية الواقعية الدقيقة.

جميع الحقوق محفوظة
لمركز جسور للدراسات
2016 ©

تركيا - غازي عنتاب

info@jusoor.co
www.jusoor.co

المحتويات

ملخص.....3
السبب الجوهري.....4
توجه تكتيكي.....5
قدرة موسكو على التخريب.....5
تحديد الدور الإيراني.....6
الغياب الخليجي.....7

ملخص

تؤكد الورقة الحالية على أن السبب الجوهري للتقارب التركي الروسي يتمثل في إعطاء روسيا الفرصة لتركيا لإحباط مشروع إقامة كيان كردي شمال سوريا في ظل التجاهل الأمريكي لتخوفات تركيا إزاء هذا المشروع الذي تراه تركيا خطراً على أمنها القومي، كما ترى الورقة أن التقارب التركي الروسي هو تقارب مرحلي تكتيكي و لا يوجد حتى الآن مؤشرات قوية على تحول تركي نحو الشرق خاصة مع ترحيب تركيا بمشاركة واشنطن في المباحثات بل إن ما يجري بين تركيا وروسيا هو عبارة عن فترة التقاء على جملة من المصالح نتيجة فترة اضطرار فرضتها الأوضاع الميدانية على تركيا تحديدا التي أدركت أيضا عدم إمكانية تنفيذ خططها في شمال سوريا دون التوافق مع موسكو مما أدى إلى القبول بمعادلة جديدة للحل في سوريا.

يمكن الوقوف على عدة أسباب أدت إلى اتخاذ تركيا لقرار التقارب مع روسيا، مع أن مفهوم التقارب يتضمن أسبابا دافعة لدى طرفي العلاقة ولكن التحول في الموقف التركي هو من جعل الانطباع والتوجه العام يغلّب الأسباب التركية على الروسية، بل وفتح الباب للحديث عن احتمالية حدوث تغيير في الاستراتيجية التركية للانتقال من المعسكر الغربي إلى الشرقي خاصة بعد تلويح الرئيس التركي رجب طيب أردوغان باستعداد تركيا للانضمام إلى منظمة شانغهاي.[1]

لم يحدث بعد أي انتقال بين المحاور أو المعسكرات، ويبدو أن هذا الأمر ما زال بعيداً وفق المعطيات والشروط الحالية، رغم الدفء الذي اعترى العلاقات التركية الروسية بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة والاشتباه التركي بالدور الأمريكي، واحتمال وقوف إدارة أوباما خلف المحاولة الانقلابية، وعدم تجاوب واشنطن مع مطالب تركيا بتسليم رجل الدين المقيم في ولاية بنسلفانيا الأمريكية فتح الله غولن.

وبالتوازي مع التقارب التركي-الروسي والتباعد التركي-الأمريكي، جاء التوتر مع دول الاتحاد الأوروبي، والتي لم تساند الديمقراطية التركية واكتفت بالدفاع عن حقوق منفذي الانقلاب وتهديد تركيا في حال تشريعها لعقوبة الاعدام، وتكلل بتوصية البرلمان الأوروبي بتجميد مفاوضات انضمام تركيا إلى الاتحاد الإوروبي، وقبل ذلك موقف حلف الناتو المريب إثر إسقاط مقاتلات تركية لطائرة سوخوي روسية في نوفمبر 2015 ثبت فيما بعد أن ضباطا يتبعون لجماعة غولن هم من قاموا بإسقاطها، إضافة إلى أسباب اقتصادية وتجارية بعد العقوبات الروسية على تركيا.

السبب الجوهري

وفي الحقيقة هناك سبب جوهري آخر وأكثر أهمية للتقارب التركي-الروسي، وهو الموقف الغربي عموماً والأمريكي خصوصاً سواء في عهد أوباما أو في سياسة ترامب المحتملة تجاه فكرة إقامة كيان كردي شمال سوريا، والاعتماد بشكل أساسي على الجماعات الكردية الانفصالية في مواجهة تنظيم داعش مما يمهد الطريق نحو مزيد من النفوذ لها ويسهل الأمور عليها في عملية وصل الكنتونات الكردية من عين العرب كوباني إلى عفرين، والتي سوف تؤدي إلى عزل تركيا عن سوريا والمنطقة العربية وسوف تؤجج مطالب الانفصال لدى أكراد تركيا مما قد يهدد وحدة الأراضي التركية أيضا.

ولذلك انطلاقا من الشعور بالخطر القادم قامت تركيا ببدء عملية درع الفرات - من خلال قوات من الجيش الحر وبدعم مباشر من القوات التركية- التي يبدو واضحاً أنها مستمرة رغم الأثمان الكبيرة المتوقعة والتي قد بدأت تدخل مراحلها الجدية في الأسابيع الأخيرة، مع توارد الانباء حول أعداد القتلى والجرحى من أفراد الجيش التركي.[2]

كما يبدو واضحاً أن تنسيق العملية قد تم بالتوافق مع روسيا وبدون رغبة الولايات المتحدة وهو الأمر الذي قيد الدور التركي في دعم المعارضة السورية. وبرز هذا جلياً في مأساة حلب، حيث اقتصر الدور التركي على محاولة تقليل حجم الأضرار وعدد الضحايا وتأمين مساعدات انسانية، ودعم سياسي من أجل التوصل إلى وقف إطلاق نار يتم بموجبه انسحاب المسلحين إلى إدلب، ولعل هذا كان أفضل الحلول المتاحة أمام تركيا، ولعل بدء عملية درع الفرات وتقدمه كان حجر الأساس لبدء العملية السياسية التي كانت ثمرتها توقيع الاتفاق الثلاثي بين روسيا وتركيا وإيران مؤخراً.

لقد بُني التقارب التركي الروسي بشكل أساسي على التفهم الكبير الذي أظهرته روسيا بحنكة وفي ظرف مهم لتخوفات تركيا بالخطر على أمنها القومي من قيام كيان كردي وفي ظل حربها المستمرة مع حزب العمال الكردستاني في الداخل، حيث قامت موسكو بإعطاء أنقرة ضوءا أخضر لمنع إقامة الكيان الكردي شمال سوريا، وأغلقت مكتباً تمثيلياً للأكراد في موسكو بعد إسقاط الطائرة الروسية، في حين تجاهلت إدارة أوباما كل هذه التخوفات مع دولة تعتبر نفسها من أكبر حلفاء واشنطن في المنطقة، ولم تكتف إدارة أوباما بتجاهل التخوفات التركية بل عملت على تعزيزها من خلال دعمها وزيارة مسؤوليها العسكريين للمعسكرات الكردية في شمال سوريا.

توجه تكتيكي

أدّى تقدم عملية درع الفرات، والتي سمحت لتركيا بالسيطرة حتى الآن على أكثر من 2000 كيلومتر مربع[3] إلى تراجع مستوى الشعور بالخطر لدى القيادة التركية، وهو ما يمكن أن يشكل عاملاً مساعداً على تخفيف درجات التقارب بين تركيا وروسيا، أو إبطاء مسار تقدمها على الأقل، ولهذا فإن توجه تركيا نحو روسيا لا يعد توجها استراتيجيا بل تكتيكيا من أجل فرض وقائع على الأرض تعمل على تحسين فرصها واعطاءها روافع جديدة للمناورة بعد التخلص من الخطر المتمثل بالكيان الكردي.

ولهذا وفي ذات السياق وعلى المدى القريب فإن تركيا قد تقبل بالعديد من النقاط التي كانت ترفض الحديث بها مثل موضوع بقاء الأسد الذي كان رحيله من أحد شروطها ثم ما لبثت أن ألمحت إلى قبولها ببقاءه فترة انتقالية وصولاً إلى عدم اشتراط ذلك في المباحثات الأخيرة، وهو ما يعتقد أن أنقرة تراه أمرا تكتيكيا بسبب المكاسب التي حققها الأسد مؤخراً، كما أن تركيا تدرك أن بقاء الأسد ليس أمراً مقدساً بالنسبة لروسيا ولا حتى إيران.

قدرة موسكو على التخريب

ومن الأمور المهمة التي تدركها تركيا في هذا السياق هو أن روسيا بقيادة بوتين قادرة حتى الآن على تخريب أي خطط تركية أو حتى دولية في سورية، ولا يمكن أن يتم إنجاز أي حل هناك دون موافقتها، ولهذا أرادت تركيا في تقاربها مع روسيا إنجاح خططها المعنية بإحباط إقامة كيان كردي في شمال سوريا، ولكنها تدرك أيضا أن روسيا لا يمكنها أيضا فرض رؤيتها وحلولها على الجميع، بمعنى أن روسيا قادرة على إفشال مخططات الآخرين، دون أن تكون قادرة على فرض مخططاتها هي. ولهذا فإن هذا الإدراك يعزز القول بأن الترتيبات الجارية هي ترتيبات مرحلية.

كما أن هناك أمرا آخر يغري تركيا بالتقارب مع روسيا وهو رؤية الرئيس المنتخب دونالد ترامب للعلاقة مع روسيا وضرورة التعاون معها، رغم أن رؤية ترامب بضرورة تقارب أمريكا مع روسيا لا تعني بالضرورة رضاه بتقارب تركيا مع روسيا وإيران، خاصة أن الاتفاق الأخير بين تركيا وروسيا حول حلب لم يتم فيه العمل مع واشنطن وجاء في وقت يشهد أقل درجات التنسيق بين موسكو وواشنطن وتبعه أيضا أزمة دبلوماسية تلت طرد واشنطن لعدد من الدبلوماسيين الروس، لكن هذا أيضا قد يفهم على أنه استثناء لإدارة أوباما وليس لأمريكا، وهي لحظة استغلتها موسكو بذكاء لإبراز قيادتها على المستوى الدولي في الفترة ما بين رحيل أوباما وقدوم ترامب، وتحاول تركيا أيضا تقديم الإثبات لإدارة ترامب أنها قادرة على مواجهة داعش ودحرها، وأن على واشنطن الاعتماد على أنقرة الحليف المفترض وليس على المليشيات الكردية التي تشكل خطراً عليها[4].

تحديد الدور الإيراني

أما فيما يتعلق بالعلاقات التركية الإيرانية وبالرغم من الاتفاق التركي الإيراني الروسي حول سوريا فإن العلاقة بين أنقرة وطهران هي في أكثر مراحلها توتراً حيث لا ترغب طهران في رؤية أردوغان وبوتين ينسقان سوية في سوريا بعيداً عنها، حيث أن المفاوضات التي تجري في أنقرة مع الفصائل السورية حاليا يحضرها مسؤولون روس وأتراك فقط، ويعزز هذا أن فكرة الاجتماع الثلاثي بين تركيا وروسيا وإيران مؤخرا كانت فكرة إيرانية طرحها وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف بعد اللقاءات الثنائية الروسية مع الطرفين التركي والإيراني على مستوى وزراء الخارجية والدفاع.

كما أن تركيا من طرفها أيضا تعتقد أن إيران ومليشياتها لعبت دوراً بغاية السوء في مأساة حلب وتهجير أهلها، وقامت بعض المليشيات الإيرانية بالهجوم على قوافل إخلاء النازحين من حلب ظناً منها أن الاتفاق التركي الروسي على إخلاء حلب قد استثنى هذه المليشيات، ولم تلبث أن طالبت هذه المليشيات الإيرانية باخلاء قريتي كفريا والفوعا من ريف إدلب حتى يتم تنفيذ الاتفاق الذي تم مع روسيا. و قد ألقى وزير الخارجية التركي مولود تشاويش أوغلو بالمسؤولية في عرقلة تطبيق الاتفاق على نظام الأسد وبعض المجموعات (التي لم يسميها) للحيلولة دون تطبيق وقف إطلاق النار في حلب، داعياً الجميع للقيام بواجباتهم تجاه المدنيين في حلب، معتبراً أن "الجميع مدان".[5]

وقد عاد الوزير التركي للتلويح بالدور الإيراني عندما دعا في مؤتمر صحفي، حسبما نقلت عنه هيئة الإذاعة والتلفزيون التركية الرسمية "TRT"، إيران إلى "أن تمارس نفوذها بشكل إيجابي، لا سيما على حزب الله والمجموعات الشيعية والنظام السوري مثلما وعدت في موسكو"[6].

وفيما قد يرى البعض أن إيجابيات الاتفاق ليست كبيرة مقابل تعزيز قوة النظام، فإن النظر للأمر من زاوية أخرى يظهر لنا أن أنقرة ركزت على تعظيم الدور الروسي على حساب الدور الإيراني وتحاول في الأسابيع المقبلة أن تحرض موسكو على المزيد من الضغط على طهران ومليشياتها خاصة في عملية إعادة بناء الجيش السوري، كما أن تركيا حصلت على شرعية تدخلها في الشمال بغطاء روسي وستعمل على جلب الغطاء الأمريكي وهو ما لن تستطيع فعله إيران في فترة ترامب التي من المتوقع أن تعيش فيه إيران فترة جديدة من المعاناة والتضييق إذا أوفى ترامب بوعوده في الحملة الانتخابية.

وفي سياق اخر لم تؤثر عملية اغتيال السفير الروسي اندريه كارلوف في أنقرة عشية اللقاء الثلاثي الذي شارك فيه وزير الخارجية التركي في موسكو على التقارب الحالي بين البلدين لأن مقتضيات المرحلة الحالية فرضت على الطرفين التنسيق معاً، كما أن روسيا كانت تعتقد أنها في مرحلة ما قبل حصد الانتصار السياسي بعد الانتصار العسكري والميداني في حلب، ولهذا كان من المتوقع أن تتفق تركيا وروسيا وإيران على اتفاق شامل لوقف إطلاق

نار، مع الاستمرار في الضغط التركي على روسيا لتقييد حركة المليشيات الشيعية في سوريا وخاصة حزب الله اللبناني.[7]

الغياب الخليجي

ومن الملاحظ في هذه التطورات أيضا غياب دول الخليج وخاصة السعودية وقطر عن الترتيبات الدبلوماسية الأخيرة بشأن الملف السوري، لكن من المتوقع أن تلتحق بعض الدول مثل قطر بهذه التفاهمات، حيث جرت عدة اجتماعات بين الطرفين التركي والقطري. كما أن تركيا تزود السعودية ودول أخرى بتقارير حول التطورات، ولا يزال ينتظر التحاق السعودية انطلاقا من ضرورة منع ترك الساحة لإيران، مع العلم أن السعودية ربما تمتنع عن ذلك بعدة مبررات منها عدم مشاركة الولايات المتحدة ولكن على أية حال فإن ذلك بالرغم من الاستياء الإيراني التركي المتبادل إلا أن ذلك قد يؤشر لبداية توتر في علاقة السعودية مع تركيا أيضاً، فضلاً عن توارد تصريحات تفيد بوجود رفض إيراني لمشاركة السعودية في المباحثات .[8]

تحاول تركيا أيضاً الوصول إلى تفاهمات مع روسيا قبل أن تصبح وجهاً لوجه مع القوات الكردية من جهة ومع جيش النظام من جهة أخرى بعد السيطرة الكاملة على مدينة الباب. وهذه النقطة تحديداً تعد تحدياً أساسياً لتركيا التي تقبل على مواجهة حاسمة وصعبة مع داعش في مدينة الباب، ومن المرجح ألا تفتح تركيا جبهة مع النظام الذي سيكون على بعد قرابة 40 كيلومتراً عن المدينة.

ورغم أن الاجتماع الثلاثي الأخير بين روسيا وتركيا وإيران قد يحقق نقاطاً إيجابية في سوريا، إلا أن الكثير من الخلافات ما زالت موجودة، وخاصة فيما يتعلق بتمثيل المعارضة والأطراف المستثناة من الاستهداف عدا داعش التي يوجد اتفاق على استهدافها، وهذه الأمور من شأنها أن تطيل أمد المفاوضات بين الأطراف وهو ما تراه تركيا فرصة لالتقاط الانفاس وإعادة ترتيب الأوراق الداخلية والخارجية، ولكنها أيضا من زاوية أخرى انحناءة أمام ما فرضته القوة الخشنة الروسية والإيرانية، ولعل موقف المعارضة السورية وإعادة تموضعها سيكون له دور مهم في هذه المعادلة .

[1] أردوغان تركيا قد تنضم لشانغهاي بدلا عن الأوروبي ، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 13872، 20 نوفمبر 2016.

[2] وزير الدفاع التركي: ارتفاع عدد قتلى الجيش في مدينة الباب إلى 16 جنديا، ترك برس، 22 ديسمبر 2016، http://www.turkpress.co/node/29230

[3] المرصد السوري لحقوق الانسان.

[4] مؤتمر صحفي لنائب رئيس الوزراء نعمان كورتولموش، ديسمبر 2016.

[5] اخلاء الفوعة و كفريا مقابل اخلاء حلب .. المعادلة الايرانية التي قلبت الطاولة، شبكة شام ، 14 ديسمبر 2016.

[6] جاويش أوغلو: على إيران ممارسة نفوذها على حزب الله ونظام الأسد كما وعدت في موسكو.. ونرحب بمشاركة أمريكا، سي ان ان عربي، 30 ديسمبر 2016، http://arabic.cnn.com/middleeast/2016/12/30/turkey-iran-should-influence-hezbollah-regime-syria-ceasefire

[7] المرجع السابق.

[8] تركيا تشرح لقطر تفاهمها مع روسيا بشأن سوريا، الخليج أونلاين، 26 ديسمبر 2016.

Kavalik Mah. Fevzi Çakmak CD.
Sevil Apt. N11 D8, 27060
Gaziantep - Turkey
+90 537 558 5821
info@jusoor.co
www.jusoor.co
@**jusoor**studies